على السفود

٣

رقم ثلاثة يعنى ثالثة الاثافى فان الشيخ عبدالله عفيفى أصبح فى قانون الشعر كالمجرم العائد فى قانون العقوبات — لا يخرج من السجن إلا ليعود اليه بحكم أشد .

نظم هذه المرة قصيدة سماها (قصيدة الأضحى) وقد وفق تمام التوفيق فى هذا لأن القصيدة مهيأة للذبح !! فبسم الله والله أكبر فى حروف الشعر المسمى عبد الله عفيفى

والقصيدة منشورة فى الأهرام أيضاً بحرف دار الكتب الذى لا يصلح للجرائد اليومية مطلقاً ، وهو عذر الأهرام ويقال أن بعض الأدباء لام رئيس تحريرها على نشر هذه السخافات التى لا تليق بجريدة صغيرة لا تقرأ ، فضلا عن الأهرام فقال له ان القصيدة كبلاغات الدواوين وعلينا النشر

ونحن على يقين أن المقطم رفض أن ينشر سخافات الشعور حتى ولو كان شعره كما يدعي شعراً رسمياً ، لأن المقطم جريدة تحترم نفسها وقراءها وتحترم أكثر من ذلك الاسمين الكبيرين المنشورين فيها دائماً (صروف ونمر) وهما من أعظم أعلام الفلسفة والسياسة والعلم

كما أننا على يقين أن جلالة مولانا الملك قد ألقى نظره السامى على مقالتى العصور فى نقد قصيدتى الشيخ ابن عفيفى وهذا وحده كاف ليجعلنا على يقين أن جلالته أظهر سخطه على هذا الشعر ، لانه الملك فؤاد الذى وهب عقلا يندر مثله فى قوته واحاطته وبلاغة تصوره ، وهو مطلع على روائع الاداب العالمية فى كل لغة . وشعر ابن عفيفى من هذه الآداب هو كالبقعة الهمجية المتوحشة فى أطلس الجغرافيا

فى هذه المرة اجتهد الشيخ أن تكون قصيدته طويلة ويظهر أنه ظن أن طول القصيدة سيفحم متقديه ويدلهم على أنه شاعر كبير لا يعجز أن ينظم ستين بيتا فهل الشعر بالمتر ؟ نحن قلنا لهذا الرجل أن شعره خردة وأنا نريد فى مدح جلالة الملك ذهبا فأراد أن يكذبنا فجاءنا بستين عشرة خردة مرة واحدة ، أى ما يعدل فى قيمته خمسة

عشر مليما من ملاليم الشعر، فأين الذهب ؟ ومتى كان الرجل سخيف الشعر باجماع الأدباء ثم عمل قصيدة طويلة فهل معنى هذا أنه أكثر من الشعر أو أكثر من السخف؟ ولكن على قدر الهوى اختلف الجنون . وابن عفيفى نفسه مقر معترف فى هذه القصيدة أنه ليس بشاعر ولم يكن شاعرا قط وانما فضل جلالة الملك جعله شاعراً وذلك فى قوله:

لك فى دمى حق أريد وفاءه فيضيق خطوى عن مداه ويقصر
قلت الفريض على ربالكولم أكن فى غير روضك أستظل وأشعر
قالوا نبغت فقلت من تلمم به نعمى ، فؤاد ، يستطيل ويقدر

هذا اعتراف صريح بأنه لم يكن شاعرا من قبل فهل صار شاعرا بقوة ورقة بنك؟ وهل لا تزال الدنيا فى عهد جهلها ونفاقها، ونحن فى عصر الفلسفة والعلم والفن، نعرف أن الشعر لا يكون إلا موهبة وقريحة واستعداداً خاصاً فى التركيب العصبى بحيث لو جئت بمن لم يخلق شاعرا وأعطيته البنك الأهلى أو العقارى وقلت له كن شاعرا لما كان إلا صاحب بنك فقط !

هذه الأبيات الثلاثة كلها من بيت واحد قاله شاعر فى الفضل بن يحيى البرمكى أيام النفاق والجهل بعلوم النفس وهو :

ما لقينا من جود فضل بن يحيى ترك الناس كلهم شعراء

وهذا الشاعر مع مبالغته دقيق الحس ذكى متنبه فلم يقل أن جود الفضل جعلنى شاعرا حتى لا يقر على نفسه بأنه شاعر الضرورة وشاعر الاستجداء والشحاذة والشاعر الملفق فى ساعة أو يوم، لأنه يعلم أن هذا النوع أسقط شعراء الدنيا، بل قال إن جود الأمير « ترك الناس كلهم » فدخل فى الجملة . واذا انطق الجود غير الشاعر بالشعر كان فى الشاعر سحرا أو معجزات لا ريب . ولكن مغفلنا !! أى الشيخ عفيفى ، جعل فضل مولانا الملك فؤاد يخرجه وحده شاعرا . وعندنا أن هذا مما يدخل قانونا فى باب العيب فى الذات الملكية الكريمة لأنه ما قيمة الشيخ عفيفى وشعره ؟

وانظر قول الرجل «لك فى دمى حق» فما هو الحق فى الدم ؟ أجيبوا يافقهاء الشريعة ورجال القانون . أما أنا فأستحى أن أكتب هذا المعنى . أستحى أن أقول إن رجلا يقتل آخر فيقرر شرع الله أن لأهل القتيل حقا فى دم القاتل إن شاؤا أراقوا دمه

وأن شاؤا حقنوه فأخذوا الدية. يالطيف. يالطيف. يالطيف. ولكنها (قصيدة الأضحى!!)

والبيت الثانى من قول بعض شعراء العصر يخاطب المصريين فى قطعة مشهورة محفوظة يتمثل بها الأدباء يقول فيها

فلا تبتغوا منا طيورا صوادحا اذا لم تكن منكم ربى وغصون

والبيت الثالث ترى فيه جواب الشرط مرفوعا معطوفا عليه بمرفوع أيضا . ثم من الذين « قالوا نبغت » ؟ وبأى شىء نبغ ابن عفيفى مع هذا الهراء ؟ نظنه يعنى رجال الديوان العالى الملكى . فان الشعرور نفسه قال لبعضهم إنهم يلقبونه فى الديوان بخليفة البهاء زهير !! ولو صح هذا لتمنى البهاء زهير على الله أن يعيده الى الدنيا ثلاثة أشهر ليرفع دعوى جنحة على رجال هذا الديوان بتهمة السب العلنى

انظر معنا الآن فى القصيدة لنذبحها معاً . قال الشعرور فى المطلع

نظر الأنام الى سناك فكبروا ورأوا بطلعتك المنى فاستبشروا

هذا المطلع يشعر أن جلالة الملك فى رحلة وقد طلع على الناس فنظروه فكبروا اجلالا واعظاماً كالعادة الاسلامية . ولكن لم يقع من هذا شىء ، فالقصيدة تهنئة بعيد الأضحى لا غير ، وجلالة الملك مستقر برعاية الله فى عاصمة ملكه السعيد . لكن نعمل إيه فى اللص الشعرور ولصوصيته الخفاء .

كان الخلفاء قديماً يخرجون فى العيد لابسين البردة النبوية الشريفة فيخطب الخليفة خطبة العيد فى المسجد الجامع ويصلى بالناس وبذلك يراه الشعب إذ يطلع عليهم فى ذهابه وإيابه وعلى المنبر . فلما مدح البحترى الخليفة المتوكل وذكر « خروجه يوم الفطر » قال :

ذكروا بطلعتك النبى فهللوا لما طلعت من الصفوف وكبروا

هذا كلام مستقيم جيد بديع جداً ، فسخه شعرور الديوان العالى ذلك المسخ المضحك ، ثم يقول أى الشعرور فى البيت الثانى

الله أكبر ما تفرع وازدهى ملك حباك به العلى الأكبر

يعنى إيه يعنى إيه . مش فاهمين . هل معنى (كبروا) فى البيت الأول الا قولهم « الله أكبر » طيب الله أكبر ولا بأس من التكرار فما معنى الباقى ؟

أول القصيدة كما يقولون كفر . ان (ما) فى قوله (ما تفرع) إما أن تكون

نافية وهذا يكون هجاء صريحاً لجلالة الملك . إذن فهى غير نافية . و إما أن تكون مصدرية ولا يمكن أن تكون غيرها، فيكون معنى البيت هكذا : الله أكبر مدة تفرع وازدهاء ملك حباك به العلى الأكبر .

يا علماء الشريعة أيكون الله أكبر مدة معينة موصوفة بوصف خاص. فاذا زال أو انقضت المدة لا يكون الله أكبر ؟ أهذا كفر يا علماء الشريعة أم ايمان ؟ ولكن نعمل إيه للشعرور اللص . فقد كان علماء الازهر من عشرين سنة وما قبلها يختمون قصائدهم هكذا : فاسلم ودم ما قلت فيك مؤرخاً ! ! و إذا لم يكن فى القصيدة تأريخ قالوا : فاسلم ودم ما قمت أنشد قائلا ! ! أو ما قام عبد الله ينشد قائلا ! ! يعنى لا يهمهم إلا ان (ما) لها اعراب ولو أهلكت الممدوح وأفسدت المعنى . أين أنت يا هلباوى لتقول لنا إلى أى طريق نحن مسوقون ؟

وفى البيت الثالث يقول الشعرور

الدين مشرقه ونور رجائه والعلم منبت ظله والكوثر

جملة الدين مشرقه صفة لكلمة (ملك) فى البيت السابق وهذا وهذا من أقبح العيوب ولكنه يعد فى المحاسن بالنسبة لباقى البيت ، فاذا كان الدين مشرق الملك فما معنى أنه (نور رجائه) والشرق هو النور ؟ ثم الرجاء يكون رجاء مادام لم يتحقق بعد. فكيف يكون النور الحاصل نور شىء لم يحصل ؟ ثم الكوثر نهر فى الآخرة ! ! فما معنى انه منبت ظل ملك مولانا ؟ ربما يقول انه يريد بالكوثر . النيل. ولكنه فى البيت الرابع يقول (دغرى) : والنيل وضاح على لباته . اذن الكوثر ، فى القصيدة، غير النيل. والا فهذا هو الهذيان وهو الاصح .لان القصيدة كلها هذيان من أولها لآخرها

و يقول فى البيت الخامس : لله والوطن الأعز مناهج أوضحتها الخ . قال ابن خلدون انه أنشد أديباً هذا البيت :

لم أدر حين وقفت بالاطلال ماالفرق بين قديمها والبالى

فقال الأديب على الفور هذا شعر فقيه . قال ابن خلدون هو كذلك ، فكيف عرفته ؟ قال من قوله (ماالفرق) فهذه كلمة لا يستعملها الشعراء ولكن الفقهاء . وبيت الشعرور يدل على أنه معلم فى مدرسة لا شاعر .وذلك بكلمة « مناهج » التى أصبحت من اختصاص وزارة المعارف ومعلميها . وقوله أوضحتها يزيد الطين بلة . جعل جلالة

الملك يوضح المناهج من غير أن يقول فهل ذلك أنه وضعها ؟ فهذا شعر معلم يليق أن يمدح به معلماً مثله، ومن الغباوة رفعه الى جلالة الملك

ويقول فى البيت السادس يصف المناهج والشرائع

سمقت على قصد السبيل وأشرقت فسعى البصير بنورها والمبصر

المناهج هنا انقلبت منارة ! ! فى الطريق . ولكن هل رأى أحد منارة فى طريق ؟ ثم منارة يسعى بنورها الأعمى . وهل رأى أحد أعمى يسعى بنور شيء ولو كان نور الشمس ؟ ثم كلمة البصير يعنى الأعمى هنا من أسخف ما يمكن، تدل على جهل مطبق باللغة وذوق ثقيل بارد . لأن العرب كانوا يقلبون الكلام لأسباب ثلاثة إما الخوف أو الرجاء أو التهكم . فكان لهم ملك مصاب بالبرص وهو تقشر الجلد وبياضه، فخشوا أن يسموه الأبرص فقالوا الوضاح . وكان لهم عزيز تلدغه حية فيرجون له الحياة والشفاء فلا يسمونه اللديغ بل السليم .

وإذا أرادوا التهكم بالأعمى سموه البصير . لانهم لا يخشون وبالطبع لا يرجون عودة نظره فلم يبق إلا التهكم . فهل هذا من الأدب الذى يجرى فى مدح الملوك ؟ قل لأى أعمى ولو كان فيلسوفا : أيها البصير ! ثم انظر كيف يفهم كلمتك ولا حاجة للمزيد على هذا .

ويقول الشعرور فى البيت السابع

كم نعمة لك فى الرقاب مضيئة غنى المقل بها وعز المكثر

هذا بعد بيت المنارة ! فلا بدع أن تكون النعمة مضيئة فى الرقاب ! ! وهل سمع أحد أن النعمة توصف بأنها مضيئة فى الرقاب ! لقد جعلوا النعمة فى العنق لأنها تأسر المتنعم عليه فكأنك ألقيت حبلا فى رقبته وسحبته به كما كانوا يفعلون بالاسير حين يستأسر . ولكن الشعرور يعلق فى الرقاب قانوساً ! ! والمعنى مسروق من قول البحترى :

عمت فواضلك البرية فالتقى فيها المقل على الغنى والمكثر

وهذا صحيح مستقيم، لأنه لا يعقل أن جلالة الملك يتبرع للأمير عمر طوسن مثلا بألف جنيه حتى يقال إنه عز بها كما أغنى انا بألف جنيه لو تبرع بها جلالته .

لانستطيع أن نمضى فى نقد القصيدة بيتاً بيتاً فهى كالمزبلة لا ينظفها إلا مجلس بلدى ولكنا نشير إلى أن الشعرور يريد دائما فصلا يحشو به قصيدته ليطول بها الكلام على غير طائل . ولما أيقن من « السفود نمرة اثنين » أنه لا يفلح فى وصف الربيع والزهر ونحوه أراد أن يجعل « السفود نمرة ثلاثة » غير حاسم فحشا قصيدته بفصل طويل هو من اختصاصه حقا لأنه درس فى الحج ! !

قال لجلالة مولانا الملك :

عرفات بهديك السلام ومكة ومنى وروضة أحد والمنبر

الجغرافية الاسلامية الدينية لبلاد الحجاز كلها . فاذا سألت وأين الكعبة والمقام وزمزم ؟ قلت لك هى « مكة » فالشيخ عفيفى يسمى بهذا البيت الشيخ بوستة ! ! لأن عرفات ومكة ومنى والمدينة كلها أرسلت على يده السلام سلاماً محققا فعليا لا مجازيا بدليل قوله « بهديك السلام » والا كانت لفظة (يهديك) هنا فى غاية البرودة . بل عامية ثقيلة لايحتملها أى ذوق إلا ذوق مثل هذا الرجل . وقد ذكرتنا بامرأة رفيقة الحال دعت قريبا لها على أكلة ملوخية خضراء فى الوقت الذى كانت فيه الملوخية لاتزال غالية نوعا . وبعد ذلك كلما قابلته تقول له : حلة الملوخية بتسلم عليك ! !

ومن غفلة الشعرور أنه بعد أن وصف الحجيج ومناسكهم وأعمالهم فى الحج ختم الفصل بأن الحجيج يقولون فى هتافهم (والله مصغ) والمراحم تمطر : يقولون :

لبيك جئنا حفدا لك حشداً نسعى إذا هجع الورى الخ

مفهوم أن جلالة مولانا الملك ليس فى الحجيج إذن فجلالته قد (هجع) فى رأى هذا الشويعر وهكذا هكذا أيها الديوان العالى الملكى .

وقوله (والله مصغ) من الكلام العجيب الذى لاندرى أيدل على زندقة أم على جهل ،فمعنى أصغى اليه مال اليه بسمعه أو مال نحوه بسمعه، وهذا دليل شدة الانتباه فالسمع بالعادة ليس كالسمع بالاصغاء . بل هذا درجة فوق ذاك، وهو أمر ظاهر كل الظهور بشهادة الحس . فهل فى وصف الله جل جلاله بالسميع حالة أقوى من حالة وهل الصفة الأزلية الأبدية تحتمل التفاوت ؟ من الذى وصف الله (بالأصغاء) غير محرر الديوان العالى ؟ هاتوا لنا شاهداً واحدا لا يكون من كلام الروافض أو الزنادقة لايجوز أبداً لاشرعاً ولا أدباً ولا ذوقاً أن يقال أصغى الله الى كذا فان هذا التعبير

يدل على أن السمع فيه تعالى صفة غير أزلية وهو كفر صريح ، ويجب فى رأينا أن يسأل شيخ الأزهر هل يجوز هذا التعبير شرعا أو لا يجوز .

ومن صفات الله الأزلية البصير فهل يجوز أن يقال حدق الله فى كذا ؟

نظن القراء سئموا كما سئمنا ، والبعرة تدل على البعير !! ولكن فى أواخر القصيدة بيت هو منتهى فساد الذوق وقلة الأدب وسوء المدح وهو قول الشويعر يدعو لجلالة مولانا الملك

لازال ملكك مشرقا بك باسما بهجا وعرشك قطبه والمحور

يقول لجلالة الملك لازال عرشك هو قطب ملكك . فهذا كلام أحسن ما يوصف به انه لغو لا معنى له . وإلا فهل يخطر فى ذهن أحد أن لملك جلالته قطبا ومحوراً غير عرشه حتى يكون لهذا التركيب وجه أو لهذا الدعاء معنى ؟

وقبل أن نرمى القصيدة، رأينا هذا البيت فى أعلى العمود الثانى منها فى وصف الجامع الازهر !

لولا وقار الدين فى اعطافه لمشى على هام المجرة يخطر

يعنى أن وقار الدين أثقل من بناء الأزهر كله ولذلك شده فى الأرض ولولاه لكان الأزهر (تزبلن) يطير إلى المجرة ويمشى يرقص على هامها . وحينئذ يصرخ المجاورون ويتساقطون من فوق المجرة الى الا الارض لأن (تزبلن) الازهرى!! مشغول بالرقص!!!

ستقرأ هذا المقال يا دولة نسيم باشا والآداب العربية لا يضرها شويعر ولا شعرور ، ولكن ما قول دولة رئيس الديوان العالى فى ظن الناس أن هذا هو الشعر الرسمى الصادر عن الديوان العالى، وفى زعم صاحب هذا الشعر أنه شاعر جلالة الملك ؟